تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 6- سورة الأحقاف | من الأية 62 إلى 82

عبدالرحمن العجلان

لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ولقد مكناهم في ماء مكناكم فيه واجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء - 00:00:01

كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون. ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ظلوا عنهم وذلك افكهم - 00:00:29

وما كانوا يفترون هذه الايات الكريمة من سورة الاحقاف هي تكملة فيما ذكر الله جل وعلا من قصة قومي عليه السلام الذين هم عاد وقد تقدم الكلام على صدر الايات الاولى - 00:00:54

في قوله جل وعلا واذكر اخ عادل اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين - 00:01:21

قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا قالوا هذا عارظ ممطرنا بل هو ما استعجلتم به. ريح فيها عذاب اليم. تدمر كل شيء - 00:01:46

شيء بامر ربها فاصبحوا فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ثم قال جل وعلا ولقد مكناهم في ماء مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة. فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا - 00:02:11

افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولقد مكناهم اللاموطية للقسم وقد حرف تحقيق ولقد مكناهم من هم قوم هود ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه - 00:02:43

ولقد مكناهم فيما ما هنا اسم موصول ولقد مكناهم في الذي فيما بمعنى الذي اسم موصول من مكناكم فيه ان للعلماء رحمهم الله فيها ثلاثة اقوال مكناكم ارجحها انها نافية - 00:03:21

في ماء مكناكم فيه فيما ما مكناكم فيه او في ما لم نمكنكم فيه يعني ان هذه نافية عد الى عالما النافية لئلا تجتمع الحرفان ماء ماء ماء ماء مكناكم فيه ما - 00:03:55

لم نمكنكم فيه هذا هو الاقرب وهو الذي قال به جمع من المفسرين ورجحه عدد منهم ان هذه تأتي نافية وتأتي لمعان اخر والمعنى حينئذ ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه يا كفار قريش - 00:04:30

الخطاب لكفار قريش مكنا عاد في اشياء لم نمكنكم فيها. يعني هم اقوى منكم اجساما وهم اطول منكم اعمارا لان الواحد منهم قد يصل عمره الى الف سنة لانهم هم - 00:05:00

جاءوا بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام مباشرة ونوح عليه الصلاة والسلام مكث يدعو قومه الف سنة الا خمسين عاما بنص القرآن وعمره قبل النبوة الله اعلم بذلك وعمره بعدما اهلك - 00:05:27

من لم يقبل هدى الله الذي جاء به سنين قيل ان عمر نوح عليه الصلاة والسلام الف وثلاث مئة سنة فهم قوم عاد اللي هم عاد او مهود اطول اعمارا من قريش - 00:05:50

واقوى انه قالوا من اشد منا قوة واعطوا من خيرات الدنيا واموالها الشيء الكثير ومع ذلك قوتهم وقدرتهم واموالهم لم تغني عنهم

شيئا لما جاءهم العذاب وانتم يا كفار قريش اولئك الذين مكنوا في اشياء لم تمكنوا فيها لما جاءهم العذاب - 00:06:11
ما اغنى عنهم تمكينهم هذا وانتم اقل منهم واظعف فان لم تؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اتاكم ما اتى اولئك ولا ناصر لكم ولقد مكناهم فيما الذي لم نمكنكم فيه - 00:06:47
وجعلنا لهم سمعا وابصارا سيأتي هذا قول القول الاخر ان ان هذه يسمونه يسميها العلماء موصولة يعني زائدة ليست نافية والمعنى حينئذ يكون ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه يعني مكناهم - 00:07:13
في مثل ما مكناكم فيه وهذا المعنى ضعيف لانه يكون المعنى حينئذ تشبيه تمكين عاد في تمكين كفار قريش وعادة المشبه به اقوى من المشبه ولا يكون في هذا حينئذ - 00:07:43
تحذير بليغ لكفار قريش يعني كأن الكلام حينئذ ان الله جل وعلا يقول لك قريش مكنا عاد في مثل ما مكناكم فيه يعني جعلناهم مثلكم وعادة المشبه به الذي هم كفار قريش هنا - 00:08:11
اقوى من المشبه الذي هم قوم عاد. ولا يكون في هذا شيء من التحدي لان التحدي يأتي ان يقول الله جل وعلا انا اهلكنا الاقوياء الذين هم اقوى منكم فلا نعجز عنكم - 00:08:36
اما اذا قال لقد اهلكنا من هو مثلكم او اظعف منكم قالوا حنا عندنا قوة ما عندهم. كما قال ابو جهل انا اكفيكم خمسة عشر من خزنة جهنم وانتم عليكم اثنين او سبعة عشر يقول لانهم خزن عليها تسعة عشر كما قال الله - 00:08:52
يقول سبعة عشر علي واثنان انتم يا عظماء قريش ما تستطيعون اثنين من خزنة جهنم؟ قالوا لا نعم نستطيع اذا كفلت عنا سبعة عشر اثنين نتولاهم عقول الكفر والضلال سخيفة مع انهم قادة - 00:09:15
لكن مع الكفر والضلال تعمى بصيرة الانسان والعياذ بالله والا الملائكة ما تستطيع البشر الوقوف في وجوههم عندهم من القدرة الشيء العظيم المعنى الثاني ان ان هذه زائدة يعني ليست نافية - 00:09:36
المعنى الثالث وهو اضعف من الثاني قال به بعض العلماء ان ان هذه شرطية شرطية وجواب الشرط محذوف ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه تكبرتم او تغاطرستم او تعاظمتم يعني لو مكناكم في مثل ما مكناهم فيه حصل منكم - 00:10:00
كذا وكذا وهذا بعيد ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه تعاظمتم او تجبرتم او تكبرتم. يعني جواب الشرط محذوف - 00:10:39
يقول الله جل وعلا وجعلنا لهم من هم والخطاب لكفار قريش وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة يعني اولئك الذين مكنهم الله جل وعلا واعطاهم عندهم عقول وعندهم اسماع جيدة وعندهم ابصار جيدة - 00:11:12
ولكنهم ما انتفعوا باسماعهم وابصارهم ولا قلوبهم ولا عقولهم ما يقال ان اولئك جهال مثلا ونحن يقول كفار قريش نحن عندنا علم ومعرفة وتخلص وقدرة ونحن تجار ونحن كذا ونحن كذا - 00:11:43
اولئك عندهم من وسائل الادراك الشيء الكثير عندهم من وسائل الادراك الشيء الكثير لكنهم ما استفادوا منها الكفر والضلال اعمى بصائرهم واصم اسماعهم وغلف على قلوبهم ما ادركوا والا فالعاقل - 00:12:06
يدرك ان النجاة والسعادة والطمأنينة في الدنيا هي بطاعة الله جل وعلا ايهما اشرف ان يعبد الله جل وعلا المرء الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف في الكون الذي اذا سئل اجاب - 00:12:40
ويتفظل جل وعلا او يعبد شجر او حجر ابو ميت شتان بينهما العقل مع الشرع يدعوان الى عبادة الله وحده فشرف للعبد ان يكون عبدا لله والله جل وعلا شرف - 00:13:04
وكرم افضل الخلق بصفة العبودية محمد صلى الله عليه وسلم ذكره ذكر صفة العبودية في اشرف المواطن وقال سبحان الذي اسرى في عبده وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب انزل على عبده - 00:13:32
وقال وانه لما قام لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه ربدا. قام عبدالله ونقول اشهد ان محمدا عبده ورسوله وصفة العبودية منزلة شريفة عالية شرف الله جل وعلا بها محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف بها كل من - 00:14:00

اتصف بعبودية الله حقا او يكون المرء عابد لجماد او حجر ومنهم من يعبد كفا من التمر ينصبه يعبده فاذا جاءك له ومنهم من يعبد حجر فاذا قام عنه وتركه جاء الكلب فبال عليه - 00:14:33
ثم يأتي عابده يغسله ويطيبه من اتى ربه للكلب لان هذا الهه اين العقول وجعلنا لهم اي لعاد سمعا وابصارا وافئدة قال بعض العلماء لم قال الله جل وعلا سمع - 00:15:00
مفرد وجمع الابصار وجمع الافئدة قالوا لان السمع وظيفته الاجتماع فقط والاجتماع شيء واحد فافرد السمع لان وظيفته الاستماع فقط يدرك المسموع فقط بخلاف الابصار والقلوب فهي تدرك اشياء كثيرة - 00:15:27
ولهذا جمع الله الابصار والافئدة وافرد السمع وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم يعني ما نفعهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله - 00:15:56
حال كفرهم وقت كفرهم ما نفعتهم الاسماع ولا الابصار ولا الافئدة. وانما قامت عليهم الحجة بذلك لو لم يكن عنده عقل ما كان هناك تكليف ما كلف لكن الافئدة هذه اصبحت نقصا عليهم. عندهم عقول لكنهم ما ميزوا بها - 00:16:23
والمرء والعياذ بالله اذا انتكس قلبه وفكره يرى الحسن قبيح ويرى القبيح حسنا يستحسن القبيح ويستقبح الحسن. فمثلا يستحسن شرب الخمر والعياذ بالله والا فالمفروض في العاقل ان يبحث عما يزيد في عقله - 00:16:51
ولا يبحث عما يذهب عقله ويصير كالمجنون هل يليق بالعاقل ان يشتري بالدراهم اشياء تذهب عقله وتجعله يقع على امه والعياذ بالله او يقع على بنته او يقتل زوجته او يقتل امه - 00:17:20
مجنون ويشتري هذا بالدراهم لكن المحروم من التوفيق والهداية يرى القبيحة حسنا والعياذ بالله والا المفروض بالعاقل ان يشتري ما يزيد في عقله كما قيل لسيد من سادات العرب قبل تحريمها في الاسلام الا تشرب الخمر - 00:17:46
قال لا ما يليق بي ان اصبح سيد قومي وامسي مجنونهم ما يليق بي انا سيد ما اشتري ولا اشرب ما يذهب عقلي وانما ابحث عما يزيد في عقلي لاني سيد القوم - 00:18:14
وسيد القوم يذهب عقله ما يليق عقلا والمجنون وفاقد العقل لا تكليف عليه. ما يكلف كما قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاثة المجنون حتى يفيق ما يؤمر بصلاة ولا صيام ولا - 00:18:37
غير ذلك من التكاليف الشرعية سوى ما يتعلق بالمال فوليه يخرج عنه زكاة ما له اذا كان له مال ورثه او وهب له ونحو ذلك وهؤلاء لهم اسماع وابصار وعقول لكن ما اغنت عنهم شيئا بسبب ظلالهم والعياذ بالله - 00:18:58
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء. اي شيء ما نفعتهم اذ كانوا يجحدون بايات الله. يعني وقت اذ ظرف وقت جحودهم بايات الله وانكارهم اياها ما نفعهم السمع والبصر - 00:19:26
وحاق بهم يعني احاط احاط بهم ما كانوا به يستهزؤون ما هو العذاب حاق بهم العذاب لانهم كانوا يستهزئون به. يعني يستعجلونه يستعجلونه ما يريدون العذاب وانما من باب السخرية والاستهزاء - 00:19:49
انك يا هود ما تستطيع تعذيبنا ونحن اقوياء اشداء فهم يستعجلون العذاب من باب الاستهزاء والسخرية وقد حاق بهم يعني ادركهم واحاط بهم وحاق بهم ما كانوا ما يعني الذي كانوا به يستهزئون. العذاب الذي كانوا به يستهزئون - 00:20:15
ثم قال جل وعلا لكفار قريش من باب التحذير والانذار ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى. انتبهوا يا كفار قريش يمرون على ديار تموت في ذهابكم ومجيئكم والى الشام وعرفتم خبر قوم لوط - 00:20:49
في الشام وجاءتكم الانباء عن المهلكين في اليمن وفي الشمال المهلكون كثيرون وتعلمون ذلك وهؤلاء حولكم والعذاب حل بمن حولكم يوشك ان يقع بكم هذا تحذير ونذارة ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى - 00:21:19
وصرفنا الايات بيناها ووضحناها ورتبناها لكن ما انتفعوا بها فهلكوا وصرفنا الايات لعلهم يرجعون اولئك ما اخذناهم قبل النذارة وقبل البيان والايضاح وانما اخذناهم بعد ما قامت عليهم الحجة وانتم يا كفار قريش - 00:21:49
على منوالهم. الان قامت عليكم الحجة فان استفدتم من هذا واطعتم محمدا صلى الله عليه وسلم سلمتم والا حل بكم ما حل بالامم

قبلكم. ولا يمكن ان تقولوا نحن اقوى - 00:22:25
او اعظم او نستطيع ان ندفع العذاب عنا اهلك من كان اقوى منكم واعتى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلما لم يرجعوا هلكوا فالاولى فهلا - 00:22:44
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة فهلا نصرتهم الهتهم اولئك ما نصرتهم وانتم يا كفار قريش هل تظنون ان اللات والعزى ومنات تنصركم او تنفعكم او تدفع عنكم العذاب اولئك لهم الهة يعبدونها ويتقربون اليها ويظنون انها - 00:23:14
من الله كما قال الله جل وعلا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى. هل قربتهم من الله فانتم مثلهم فلولا فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة. نصرهم الذي - 00:23:49
اتخذوا من دون الله لولا نصرهم الذين محلها من الاعراب نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة. يعني اتخذوها الهة يتقربون اليها بل الحقيقة والواقع ظلوا عنهم ما وجدوهم - 00:24:10
حينما حزبهم الامر ما وجدوهم ما وجدوا لهم اثر ولا نفع ولا دفعوا عنهم العذاب بل ظلوا عنهم السير على غير هدى والتقرب الى من لا يصلح التقرب اليه يفلت من المرء - 00:24:44
في وقت هو احوج ما يكون اليه مثل من يعتمد على شخص ما لا يستطيع نفعه اذا جاءه الظرر من اعلى منه بل ظلوا عنهم وذلك افكهم كذبهم وافتراؤهم بان هذه الالهة تنفع - 00:25:12
وذلك افكهم كذبهم وافتراؤهم ان الالهة تنفع ما نفعته وذلك افكهم وما كانوا يفترون. يختلقونه ويفترونه ويكذبون فيه ما نفعهم ونستفاد منه شيئا ذلك الظلال والضياع والهلاك كذبهم الذي كانوا يظنون انه ينفع وذلك افكهم - 00:25:44
وقرأ وذلك افاكهم وقرأ افك بفتح الهمزة والفاء والكاف على انه فعل اي ذلك القول صرفهم افكهم؟ يعني صرفهم عن توحيد الله جل وعلا وقرأ بفتح الهمزة وتشديد الفاء وذلك افكهم - 00:26:21
بتشديد الفاء افكهم اي سيرهم كذبة قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم كانوا يفترون الواو حرف عطف وما معطوفة على الافك وذلك افكهم وما كانوا يفترون يعني افتراءهم - 00:27:01
ما هنا تكون مصدرية تسبك هي وما بعدها بمصدر وذلك افكهم وافتراؤهم ذلك افكهم يعني اهلكهم وضرهم لانهم اعتمدوا على من لا يصلح للاعتماد عليه وفي هذا تحذير بليغ لكل من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم واعتمد - 00:27:35
على ما يعتمد عليه من الالهة فانها لا تنفعه بل تضره والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:28:10